

المراجعات

حوار موضوعي معمق بين الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره
وشيخ الأزهر الشريف الحجة الشيخ سليم البشري رحمه الله
حول موضوع الإمامة في الإسلام

تأليف

السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي
(أعلى الله درجاته)

تحقيق: الشيخ حسين الراضي

الطبعة الثالثة للناشر

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

دار العلقمي للطباعة والنشر

العراق / كربلاء المقدسة / ص ب ١٠٩٤

مطبعة النجف الأشرف / حي عدن

المراجعات

سُورَةُ الزُّمَرِ
١ زمره
٧ عدد آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

سورة الزمر: ١٨

المقدمة

بقلم: العلامة الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لمن أنعم على الحامدين بحمده، والصلاة على من صلى الله عليه وسلّم، محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الحوار:

كالعمل المشترك، يكون التفكير المشترك، فكلما ينبثق عن تظافر مجموعة قوى، أثبت وأصلد مما يتبرعم عن إحدى تلك القوى، ف(أعقل الناس من جمع إلى عقله عقول الناس)، و(ما خاب من استشار) فمن استعان بآراء الآخرين نَعَمَ بنجاحه إذا نجح، وشاطره الآخرون فشله إذا فشل. ولعل تواضع الإنسان للتلاقح الفكري والعملي هو الذي أسس له الحضارة، ولعل تكبر الحيوان عن التلاقح الفكري والعملي هو الذي جعله متوحشاً ثم داجناً. والاشتراك في الإنتاج سنة الحياة، فلولاها لما اهتزت حبة القمح على السنبلة، ولما تقطرت حبة المطر من الغمام، ولما ارتزحت البراكين تحت أعباء الثلوج.

حوار القمة:

والحوار نوع من التفكير المشترك، إذا تخلص من الرواسب والمسبقات، ولعل الضمان الوحيد لخلوص الحوار من الرواسب والمسبقات جريانه بين الأنداد، حيث لا يسمح الجوّ بأن يعبر أي جانب عن رواسته ومسبقاته، فيضطر إلى الموضوعية. ولذلك يحرص الناس على تسقّط أي حوار يدور في القمة، ويحرص المشتركون فيها على عدم تسربه إلى الناس، عندما يريدون أن لا يتعروا من لعبة الرواسب والمسبقات. وحينما يفتح المشتركون في القمة حوارهم على الناس، تكون فرصة لاتفوّت، لأنها تتيح لكل فرد أن يتعرف على الحقيقة بعيدة عن التحيز.

الكتاب:

وهذا الكتاب: (المراجعات) حوار مفتوح جرى في القمة، مثّل الجانب الشيعي فيه الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين كبير علماء لبنان، ومثّل الجانب السنّي فيه الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر بمصر، ويكفي دليلاً على موضوعية الحوار، أنهما أذنا بانتشاره.

الحوار لماذا؟

ولكن لماذا حتى مجرد الحوار حول القضايا الطائفية؟.

أو ليست هي بعامة قضايا تستل من عمق التاريخ؟.

أو ليس من الأفضل إبعاد القضايا الطائفية من الأذهان، حتى يتعايش الناس على الصعيد الإنساني، أو على الأقل على الصعيد الديني، وينسوا الخلافات التي مات أبطالها جميعاً، ووقفوا أمام ربهم، وحكم بينهم بما هو أعدل؟.

أو ليس ذلك من الأفضل والأعدل؟.

كلا..

أبداً..

بل يجب أن يجري الحوار حول القضايا الطائفية، لـ:

١: يجب أن يجري الحوار حول القضايا الطائفية حتى لا يجري الصراع حولها، لأن البواعث الطائفية موجودة تنفخ في الصدور، فإذا لم ينفس عنها بالحوار تنفجر بالصراع... ومن يستطيع أن ينسى أنه يعيش في عالم تشتعل جنباته بحروب طائفية؟ إن لم يكن الخلاف فيها على عقائد دينية، فهي على عقائد مادية، وجميعها - في نهاية المطاف - قضايا طائفية.

٢: إن أبطال الخلافات ماتوا، ولكن الدين لم ولن ولا يمكن أن يموت، ونحن بحاجة إلى الدين، هنالك مصادر مختلفة مرشحة لأخذه منها، وهنالك قادة مرشحون لأخذه منهم، وكل فرد في موقعه الخاص مضطر إلى أخذ الدين من أحد هذه المصادر وأحد هؤلاء القادة، ولا بد أن يبحث عن المصدر الأصح وعن القائد الأفضل، وهو قد يعتمد في بحثه على قدرته الفردية، فيكون متكبراً، وتكون نسبة الخطأ في بحثه أكثر من نسبة الصواب، وربما يعتمد على قدرته الفردية مضافة إلى قدرات الآخرين، وخاصة المختصين منهم، فيكون متواضعاً، وتكون نسبة الصواب في بحثه أكثر من نسبة الخطأ، وهو الحوار. فكل فرد مضطر إلى متابعة الحوار، اضطاراه إلى الدين والقائد.

٣: لماذا تموت القضايا الطائفية؟ أليس حتى لا تثار مشاكل يمكن التخلص عنها؟ فليبق الحوار الطائفي مفتوحاً، ولكن في مستواه الواقعي، وليعط حجمه الطبيعي، بإجرائه في مجال التفاهم الفكري لاكتشاف الدين الذي أمر الله باتباعه. وأي حوار يجري في مجال التفاهم الفكري لاكتشاف أوامر الله تعالى لا يثير مشاكل، وإنما يثيرها إذا عمم على الصعيد الاجتماعي أو الصعيد السياسي، وهذا ما يلزم اتقاؤه، لا أصل للقضايا.

٤: لو أمتنا القضايا الطائفية بعامتها، وحرمنا على الفكر مناقشتها، نكون قد سمحنا لأخطاء الأجيال الماضية أن تستمر عبرنا إلى الأجيال المستقبلية، وهذا يعني تمرير الخطأ وتوريث أجيال.

٥: لو لم نبحث عن أوامر الله تعالى في مجال الدين، وقلنا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَمَةٍ، وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(١)، فهل الله تعالى يقبل منا أن نقول له: ﴿إِنَّا اطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيل﴾^(٢)؟.

إن علينا أن ندرس ما وصل إلينا في التراث أفكاراً وقيادات، ولكن الذي ينبغي هو درس التراث درساً مشتركاً، والذي لا ينبغي هو اتخاذ التراث أرضية للتعبير عن التناقض البشري.

الحوار للقاء:

إن الحوار بين الطوائف يؤدي إلى انفتاحها على بعضها، وقفزها فوق الجدر الوهمية بينها، وهذا الانفتاح يؤدي - بدوره - إلى فهم كل طائفة الأسلوب الذي تفكر به بقية الطوائف، وهذا الفهم يؤدي - بدوره أيضاً - إلى الالتقاء على نقاط كثيرة، لأن نقاط الالتقاء أكثر من نقاط الافتراق - ونقاط الالتقاء مع توفر حسن النية تشكل قاعدة متينة للتعاون المشترك، وحصص نقاط الافتراق، تمهيداً لتطويقها. من أجل إعداد المناخ المناسب لتوحيد الكلمة، الذي هو أكبر آمال الطوائف كلها، ولا يمكن أن تقوم قائمة لأي دين، إلا بتوحيد كلمة أتباعه. ومن أجل إلغاء الطائفية، لا عن طريق تكتيمها للمجاملات واللياقات، وإنما عن طريق تقليصها للتنفيذ. إن أي شيء في الوجود - مهما كان صغيراً - لا يمكن أن يخرج إلى النور، إلا بدراسة موضوعية، وعمل منسجم مع الواقع، فكيف يمكن لآمال كبار، في حجم توحيد الكلمة وإلغاء الطائفية أن تتحقق لو تجنبنا الحوار، واتقينا البحث المشترك؟.

من أجل تحقيق هذه الآمال الكبار، جرى هذا الحوار، بين عملاق لبنان وعملاق مصر، وصدر هذا الكتاب: (المراجعات).

المؤلف:

أما مؤلف هذا الكتاب، ومرجع مراجعته، فلا يكفي أن نقول عنه أشهر من نور على علم، ثم نمر عليه مرور المهلين، فعلى أن ندرس الأعلام في التراث، لمكان القدوة: إن الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين، هو نجل الشريف يوسف، ابن الشريف

(١) سورة الزخرف: ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٧.

جواد، ابن الشريف إسماعيل.

ولد في الكاظمية بالعراق عام ١٢٩٠هـ، وأكمل دراساته العلمية في الكاظمية والنجف الأشرف، ولحق أساتذته براعم النبوغ فتفتح فيه، فكانوا يرشحونه للعظام.

ومن جملة البوادر التي كانت تظهر منه لأساتذته، أنه كان في عام ١٣٢٠هـ يحضر (درس الخارج) على علامة عصره الشيخ محمد كاظم الخراساني مؤلف كتاب (كفاية الأصول) وكان من عادة الشيخ الخراساني أن يطرح المعضلات على طلابه ويدفعهم إلى مناقشتها والخروج منها بآراء سيناقشها هو. وفي أحد الأيام طرح معضلة أصولية وطلب من طلابه معالجتها، وكانت معالجة السيد عبد الحسين شرف الدين للمعضلة ملفتة للأنظار، فأمره الشيخ الخراساني أن يلخص الموضوع ويعلق عليه ويعطي رأيه فيه، ولما عرض السيد شرف الدين ما كتبه حول الموضوع على أستاذه، أعجب به وتلاه على طلابه، ثم التفت إلى السيد شرف الدين قائلاً: (إن الإمام المؤسس الشيخ الأنصاري كتب في هذه المسألة، ورأيه لا يعدو رأيك).

ولما بلغ السيد الإمام الثانية والثلاثين من عمره، عاد إلى (جبل عامل) حيث منبت آبائه وأجداده، فاستقبل (جبل عامل) فلذته، بعلمائه وجماهير شعبه، التي كانت تنسقط أنباء بزوغه ونبوغه بترقب وتوقع.

جهاده :

ولما درس أوضاع المنطقة وجدها تعاني من فساد داخلي يتجسد في الفجوة بين الشعب وزعمائه، ومن فساد خارجي يتجسد في الاحتلال الفرنسي، فوجه طاقته الخطابية الهائلة إلى حرب الفساد بشقيه. وبهذا دخل في القوى الوطنية المناهضة للاستعمار عنصر جديد هو العنصر الديني، الذي يجري وراءه الشعب بعامته، فالثقة التي يتمتع بها رجل الدين تجعله عنصراً خطراً على الاستعمار الذي يحاول التخلص من أعدائه بتوجيه التهم المختلفة إليهم، ولا يستطيع التخلص بهذا الشكل من رجل الدين، لأن معرفة الشعب به وبكل أعماله وتصرفاته، تجعله فوق منال الاتهام.

ولذلك حاول الاستعمار الفرنسي خنق صوت السيد الإمام بصورة لا تؤدي إلى تزايد نقمة الشعب عليه، فعمد إلى محاولة اغتياله على يد (ابن الحلاج) الذي اقتحم بيت السيد الإمام شاهراً سلاحه، في وقت كان البيت غاصاً بالمؤمنين، ولكنه لم ينجح في مهمته الجهنمية، ونجا السيد بأعجوبة، ف ﴿الله غالب على أمره﴾^(١).

(١) سورة يوسف: ٢١.

ولما فشل الاستعمار في خنق صوت السيد بهذا الشكل التآمري، اضطر إلى الكشف عن وجهه الاستعماري البشع، فأحرق دارته الصيفية في (شحور) ونهب منزله في (صور) وأحرق مكتبته العامرة، التي كانت تحتوي - فيما تحتوي - على تسعة عشر مؤلفاً لم يقدر لها بعد أن تتماثل للطبع.

وإحراق مؤلفاته المخطوطة ترك في قلبه جرحاً ظل يشكو منه حتى أخريات أيامه. فتلك المؤلفات كانت قد اعتصرت شبابه، ويكفي أن من تلك المؤلفات كان كتاب (سبيل المؤمنين) في الإمامة، الذي عرض المؤلف أجزاءً منه في عام ١٣٢٧هـ على السيد علي محمود الأمين - الذي كان آنذاك رئيس علماء جبل عامل - فتحدث عن انطباعاته عنها للمؤلف قائلاً: (ستكون كتبك أنفع من كتب السيد المرتضى).

ومن ثم شرد السيد الإمام وأهله إلى دمشق، ومن ثم إلى فلسطين ثم إلى مصر، ولكن ما راق له البقاء بعيداً عن قاعدة جهاده (جبل عامل) - رغم التفاف علماء وأدباء مصر حوله - فعاد إلى فلسطين، واتخذ من قرية (علما) مقراً له، لقربها من الحدود اللبنانية، فكان اللبنانيون يتصلون به ويتلقون توجيهاته.

وكانت المفاوضات - حينذاك - جارية بين المجاهدين والسلطة، وما لبثت أن أسفرت عن موافقة الأخيرة على إعطاء الحقوق التي كان يطالب بها العامليون، وإصدار عفو عام عن المجاهدين، وسمح للسيد الإمام بالعودة إلى (جبل عامل) ولكنه أبى أن يعود وحده إلى بيته، بينما المجاهدون لايزالون مشردين، فذهب إلى بيروت، حيث استنجز العفو العام، فعاد بالمجاهدين إلى (جبل عامل) في موكب لازالت الندوات تردد ذكرياته.

أسفاره :

وكانت للسيد الإمام أسفار كان يستغلها لخدمات دينية لها أهميتها التاريخية. ففي عام ١٣٢٨هـ سافر إلى المدينة المنورة، لزيارة مرقد النبي ﷺ وضرائح الأئمة الطاهرين ﷺ في البقيع.

وفي عام ١٣٢٩هـ زار مصر حيث اجتمع بكبار العلماء والأدباء، ومن جملتهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ سليم البشري، الذي دار بينه وبين السيد الإمام حوار ابتداءً شفويّاً واستمر عبر رسائل كانت هذه المراجعات.

وفي عام ١٣٤٠هـ حج بيت الله الحرام، فكلفه الملك حسين ملك الحجاز - يوم ذاك - بإمامة الجماعة في المسجد الحرام والخطبة فيه، فكان أول إمام شيعي يؤم الحجيج في المسجد الحرام منذ عهد بعيد.

وفي عام ١٣٥٥هـ زار العراق لتجديد العهد بالعتبات المقدسة، والتربة التي وعت استهلاله وألهبت مواهبه، فاستقبل في بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف من قبل العلماء وجموع المؤمنين، استقبال القائد العائد من خط النار.

مؤسساته :

لعلّي لا أبالغ إذا قلت : إن أكثر المؤسسات الدينية في (جبل عامل) مؤسساته. فقد أسس النفوس التي عملت الكثير، وتأسيس الفرد المؤمن أصعب وأجدي من تأسيس المسجد، لأن المؤمن هدف المسجد وليس المسجد^(١) هدف المؤمن، فالإيمان هو وحده ووحده القيمة الأساس والرئيس على الأرض، وبمقداره يقيّم الأفراد، وبمقدار التعبير عنه تقيّم الأعمال، ف﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)، فالتأسيس الهدف هو تأسيس المؤمن، وكل تأسيس يقيّم بمقدار مشاركته في تأسيس المؤمن، فعظمة المؤسسات لا تقدر بضخامة البناء وفخامة الأثاث، وإنما تقدر بحجم إنجازها الإيماني، والإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، وعى هذا الواقع الديني وعيه الدقيق للاتجاه الديني العام، ومن هذا الوعي انطلق نحو تأسيس النفوس، سواء في مقره بـ (صور) أو في سائر بلاد (جبل عامل).

ومن مظاهر ذلك، أنه كان يتتبع أخبار طلاب (جبل عامل) في النجف الأشرف فإذا عرف من أحدهم نضجاً لتحمل أعباء التوجيه الديني، استأذن من المرجع الأعلى الراحل السيد أبي الحسن الأصفهاني، فإذا وافق استقدم الطالب، واستقبله في موكب كبير من أهالي صور وأهالي قرية الطالب نفسه، وصلى خلفه في مسجد قريته، وأمر المؤمنين بالرجوع إليه في أمورهم الدينية، ثم بقي متابعاً خطواته يؤيدها ويسددها.. وهذا الاهتمام البالغ بتأسيس النفوس في (صور) مباشرة وفي غير (صور) بواسطة العلماء الآخرين، هو الذي جعل أكثر المؤسسات الدينية مؤسساته. ولقد دفع الناس إلى تأسيس مؤسسات كثيرة لم تعرف باسمه، رغم أنها انبثقت عن توجيهه، ولولاه لما كانت.

وأما المؤسسات التي حملت اسمه، فمنها :

١ : حسينية، كانت أول حسينية في صور.

٢ : جامع، هو أول الجوامع في صور وأروعها حتى اليوم.

٣ : الكلية الجعفرية، التي لها الفضل في تثقيف كثير من شباب (جبل عامل) وكانت بحد

(١) بوحده.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

ذاتها ثورة على الذين بنوا زعاماتهم على تجهيل أبناء (جبل عامل)، ولا زالت الكلية الجعفرية تواصل خطها الصاعد، بإشراف نجل المؤسس السيد جعفر شرف الدين، الذي عمل على تطويرها وإنمائها.

٤ : نادي الإمام الصادق عليه السلام في صور.

٥ : مدرسة للبنات، في صور.

٦ : جمعية البر والإحسان، التي أسسها للإشراف على كل هذه المؤسسات.

بالإضافة إلى عشرات المساجد والحسينيات التي أشرف على تأسيسها في قرى (جبل عامل).

مؤلفاته:

١ : المراجعات، وهو حوار مكتوب دار بين المؤلف وشيخ الجامع الأزهر الشيخ سليم البشري حول الإمامة. ويكاد يجمع قرائه على أنه الكتاب الأول من نوعه الذي يدعو إلى الوحدة الإسلامية عن طريق الحق متجسداً بالإمامة، وقد أقبل عليه المتشيعون، وأهداه بعضهم إلى بعض.

وقد أهدى نجل المؤلف الراحل السيد صدر الدين شرف الدين طبعة جديدة من الكتاب إلى الإمام الراحل السيد حسين الطباطبائي البروجردي في عام ١٣٨٠ هـ فقال الأخير: (كنت أظن أن الدهر عقم عن مثل الشيخ المفيد، حتى قرأت المراجعات).

وجاء في تحليل الشيخ عبد الله العلايلي لكتاب المراجعات: (لا يتيسر لباحث محقق أن يخرج بكتاب مثل - المراجعات - إلا إذا كان من الأعلام الشوامخ، وكانت لديه مكتبة إسلامية، قد عكف فيها خمسة عشر عاماً). وقد طبع حتى الآن (١٦) طبعة^(١).

٢ : أبو هريرة، دراسة لحياة أبي هريرة، من جوانبها المختلفة، وقد كتب الشيخ عبد الله العلايلي عن هذا الكتاب فقال: (أجدني في غير حاجة إلى أن أقول شيئاً في المؤلف، فهو علم ضخم في كل ما عرف العصر من أعلام، أثروا حقل اختصاصهم الواسع، بما أعطوا من زاد للفكر، مشفوعة بمثله من ظمأة القلب وسغب الضمير والتياغة الروح).

(ولعل إنساناً أنصف الدرس واجتمعت له أساليبه وأدواته، لا يشك أبداً. وقد وقف على كتب هذا السيد - أنه كان معنى التمحيص في عقل المعرفة، والروح العلمي البعيد في تعقد العلم،

(١) قد طبع كتاب (المراجعات) وكذا ما يتلوه من الكتب إلى يومنا هذا، أكثر مما ذكره الشهيد بكثير، وترجم بعضها إلى لغات مختلفة. (الناشر).

وأنه رجل التجديد، في جنبات بحث لم يعهد من جديد، إلا شيئاً في حدّ الرغبة، أو شيئاً في حدّ التوهيم والادّعاء).

والكتاب يقع في (٢٠٠) صفحة، وطبع ثلاث طبعات.

٣: الفصول المهمة في تأليف الأمة، يقع في (١٩٢) صفحة (١٠٠×٧٠) طبع ثلاث طبعات.

٤: أجوبة مسائل موسى جار الله، يقع في (١٥٢) صفحة (٥٠×٣٥).

٥: الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام، يقع في (٤٠) صفحة (١٠٠×٧٠).

٦: المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، طبعت مقدمته، يقع في (٧٢) صفحة (١٠٠×٧٠).

٧: النص والاجتهاد يقع في (٢١٠) صفحة (١٠٠×٧٠).

٨: فلسفة الميثاق والولاية، طبع طبعتين.

٩: ثبت الإثبات في سلسلة الرواة.

١٠: مسائل فقهية.

١١: رسالة كلامية.

١٢: إلى المجمع العلمي العربي بدمشق.

١٣: بغية الراغبين، معدّ للطبع.

١٤: رسائل ومسائل، معدّ للطبع.

كل ذلك بالإضافة إلى مؤلفاته، التي التهمتھا النيران، أيام الاحتلال الفرنسي، ولو بقيت لوسعت أفق الفكر الديني، كما وسعته مؤلفاته المطبوعة. وبعد:

فرجال التاريخ في واقعهم، أوسع منهم في كلمات راقدة في طيات التاريخ، وأوسع منهم في كلمات يتناقلها الرواة.

بيروت ١٣٩٣/١/١٥ هـ

حسن مهدي الشيرازي